

رؤية الله تعالى في الآخرة عند جمهور الفرق الإسلامية

أحمد ربيع بكر موسى (*)

المقدمة

الحمد لله الذي منَّ على أهل الإيمان بالنعيم المقيم في جنات النعيم، وزادهم فوق ذلك النظر إلى وجهه الكريم، فكانت رؤيته قرّة عين للمتقين ، ونصرة في وجوه المؤمنين فكان ذلك هو تمام النعيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد.

سيكون موضوع البحث -إن شاء الله- عن رؤية الله تعالى في الآخرة عند جمهور الفرق الإسلامية بين من أثبت الرؤية وبين من نفاها، ودليل كل فرقة منهم، وقضية ثبوت الرؤية من المسائل الاعتقادية المهمة والتي دار الجدل حولها منذ عهد السلف الصالح - رضي الله عنهم - والجهمية ومع أهمية هذه القضية لم نجد في العصر الحالي إلا أهل السنة الذين قالوا بثبوت الرؤية خلافاً لجميع الفرق فنجد الإمام أبا العباس أحمد زروق الفاسي في شرحه لكتاب قواعد العقائد للإمام الغزالي يقول -رحمه الله -: (فأما رؤيته تعالى بالأبصار فمذهب أهل السنة جواز ذلك عقلاً وسمعاً ، خلافاً لجميع الفرق) ^(١) والفرق الإسلامية ليست بالعدد القليل فقد ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنها أكثر من سبعين فرقة فيقول - صلى الله عليه وسلم - "افتترقت اليهودُ على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة" ^(٢) وهذه الفرق الكثيرة أكثرها يكاد أن يندثر لذلك تم اختيار أهل السنة وهو الفريق الذي يقول بإثبات رؤية - الله تعالى - في الآخرة واختيار (المعتزلة ، والشيعية ، والإباضية) وهم الذين يقولون بنفي رؤية الله تعالى، فتم اختيار

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [رؤية الله تعالى في الآخرة عند جمهور الفرق الإسلامية]، تحت إشراف أ.د. خالد عبد الحليم السيوطي - كلية الآداب - جامعة سوهاج & أ.د. فضلون محمد محمد مصطفى - كلية الدراسات الإسلامية بنين بقنا - جامعة الأزهر .

(١) اغتنام الفوائد في شرح قواعد العقائد لأبي العباس أحمد زروق الفاسي ص ١٠٦
(٢) أخرجه أبو داود برقم ٤٥٩٦ حكم المحقق شعيب الأرنؤوط : (حديث صحيح، وهذا إسناد حسن)، سنن أبي داود تحقيق الأرنؤوط ج ٧ ص ٥

المعتزلة، مع أن المعتزلة لا يوجد منهم الآن إلا القليل، ولكن لأنهم من أقوى وأشهر الفرق الإسلامية، وتتم دراسة أقوالهم والرد عليهم بقوة خاصة في الأزهر الشريف، حتى يكاد أن يقال لا يعرف لأهل السنة معارض إلا المعتزلة، وأما الشيعة فكثرتهم على أرض الواقع معلومة، وأما الإباضية مع إنهم أقل من الشيعة لكن لهم وجوداً معلوماً في دولة عمان الشقيقة، والمفتي لهم من علماء الإباضية، لذلك تم الاقتصار على هذه الفرق الإسلامية ويكاد يتفق معنا في ذلك الدكتور عبد الهادي الفضلي الشيعي عند ذكره آراء المذاهب الكلامية والكلام عنها فقال: " وحاولت أن اقتصر وسع الطاقة على آراء المذاهب الكلامية التي لا تزال قائمة حتى عصرنا هذا، وهي:

من السنة: الأشاعرة والماتريدية والصوفية والسلفية.

ومن الشيعة: الإمامية والزيدية والإسماعيلية ومن غيرهما: الإباضية.

وكان معها من المذاهب التاريخية أو التي انتهى معتقوها: مذهب المعتزلة، لأنه أشهر وأعرق وأشمل مذهب كلامي" (١) (٢)

ولذلك تم اختيار هذه الفرق التي تمثل الفرق الإسلامية لمناقشة موضوع رؤية الله تعالى في الآخرة وأسأل الله تعالى التيسير والتوفيق والسادد.

أسباب اختيار موضوع البحث

الخلاف في قضية رؤية الله تعالى في الآخرة وقع منذ عهد السلف - رضي الله عنهم - بين قولهم بثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة وبين الجهمية التي تقول بنفي الرؤية في الدنيا والآخرة، وقد كثر الكلام عن هذا الموضوع والدراسات فيه لكن كل فريق يتحدث في دراسته من أرضية بحث مختلفة فالفريق النافي ينظر إلى قضية رؤية الله تعالى من الناحية العقلية بجانب الآيات القرآنية التي يفهم منها أن الرؤية مستحيلة، وزعم هذا الفريق أن هذه الأدلة قطعية الدلالة على نفي الرؤية وكل دليل يخالف هذا الدليل لا بد من رده، أو تأويل مدلوله، ليتناسب مع الأصل القطعي وهو نفي الرؤية.

(١) خلاصة علم الكلام ص ٦ الدكتور عبد الهادي الفضلي الشيعي

(٢) هو الشيخ الدكتور عبد الهادي بن الشيخ محسن البصر الأحسائي الفضلي ولد عام ١٣٥٢هـ وهاجر الي النجف ودرس في كلية الفقه ثم تخرج منها وأصبح مدرسا فيها وكان ممن يتابع الدروس الحوزية علي السيد الخوئي في الفقه والأصول ويقوم بألقاء المحاضرات والتأليف ، ثم انتقل الي القاهرة ونال درجة الدكتوراه وعاد إلي العربية السعودية وتعين في جامعة عبد العزيز أستاذاً للغة العربية كما تولي رئاسة قسم اللغة العربية بكلية الآداب (مع علماء النجف الأشرف م ٢ ص ٥٣٦) وبالنسبة لعلمه لما يخص العلوم العقلية فقد درسها علي يد كبار علماء الشيعة منها(المنطق حاشية ملا عبد الله وشرح الشمسية عند والده .علم الكلام: شرح التجري عند السيد جمال الدين الخوئي ، والإسلام، بناييعه ومناهجه عند الشيخ محمد أمين زين الدين.) موقع ويكي شيعية عنوان رابط الصفحة عبد الهادي الفضلي - ويكي شيعية (wikishia.net)

وبعض أهل السنة عند الرد، وذكر أدلة الرؤية لا يفرق فيها بين القطعي والظني في حجية الاستدلال على الخصوم وجعل جميع الأدلة في منزلة واحدة وقد ذكر الشيخ أحمد الخليلي^(١) سخرية بعض المنتسبين لأهل السنة لعدم اعتماد الإباضية على الأحاديث المروية في الرؤية لأحاديثها، وقد رد على هؤلاء بذكر أقوال أهل السنة في حجية القطعي دون الظني في العقيدة وحجية التواتر التي تختلف عن الأحاد فيقول ما نصه: "وقد سمعت فيما سمعت من المحاضرة المسجلة في الشريط، التي أشرت إليها من قبل، سخرية من المحاضر بالإباضية لعدم اعتمادهم على الأحاديث المروية في الرؤية لأحاديثها، كأنه لم يقل بعدم الأخذ بالأحاديث الأحادية في الاعتقاد غيرهم، وما هذه إلا سخرية من نفسه، فإنه قد أثبت بذلك عدم معرفته بما قاله المحققون من علمائه، ولا أريد إلا أن أنقل هنا بعض نصوصهم في ذلك، من غير أن أشرك نصاً لأحد من علماء الإباضية"^(٢)، ثم بعد ذلك ذكر الكثير من النصوص لعلماء أهل السنة، أمثال: ابن الحاجب، والغزالي، وسعد الدين التفتازاني وغيرهم في أن خير الأحاد لا يفيد إلا الظن، والقول بالظن لا يصح في العقيدة وهذا الكلام لم ينفرد به الشيخ أحمد بل هو حجة كل من قال بنفي الرؤية وأنه لا يصح إثبات الرؤية بأدلة ظنية، وهي من مسائل الاعتقاد، وقد قامت الأدلة القطعية على نفي رؤية الله تعالى، فقامت بعد الاستعانة بالله - تعالى - بعمل هذا البحث لمناقشة الأدلة، وبيان ما هو قطعي وظني بين الطرفين ومناقشة الأدلة العقلية التي زعم النافون للرؤية إنها قطعية الدلالة، وكذلك الأدلة النقلية وبيان ما هو ظني وقطعي الدلالة وذلك على قدر الطاقة البشرية، ثم الحكم من خلال هذا البحث على القول الأقرب إلى الحق والصواب من وجهة نظري كباحث والله المستعان.

مشكلة البحث

البحث يتحدث عن الخلاف الكبير بين أهل السنة وباقي الفرق الإسلامية في إثبات ونفي رؤية الله تعالى في الآخرة، وتكمن المشكلة في:

(١) الأدلة العقلية والنقلية التي استدلت بها الطرفان بين النفي والإثبات، كل فريق يزعم أن أدلته قطعية، فالقول بوجود أدلة قطعية متعارضة يؤدي إلى الطعن في كتاب الله -

(١) هو عالم إباضي معاصر ومفتي لسلطنة عمان التعريف به: (ولد أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي عام ١٩٤٢ بمحلة مفنيستي بجزيرة زنجبار حيث كان والده مهاجراً، وقد عاد إلى موطنه الأصلي ١٩٦٤. درس الخليلي القرآن الكريم والعلوم الدينية والعربية في زنجبار وعمان على يد عدد من المشايخ. كتب الخليلي الكثير من الكتب في التفسير والعبادات والفتاوى، بالإضافة إلى تقديمه الكثير من المحاضرات والدروس في تفسير القرآن الكريم، وفي الفتاوى العامة، ومن أعماله كتاب "جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل"، وكتاب "الحق الدامغ" (الموقع الإلكتروني شبكة الجزيرة الإعلامية > ديانات وعقائد شخصية عمان < بتاريخ ٢٧/٤/٢٠١٥) <https://www.ajnet.me/encyclopedia/2015/4/27>

(٢) الحق الدامغ لأحمد الخليلي ص ٦٣

تعالى - فكان لا بد من بيان الأدلة القطعية، ورفع التعارض بينها وبين الظني الذي يعارضها.

(٢) أدلة السنة النبوية الشريفة أكثر دلالة على ثبوت رؤية الله - تعالى - يوم القيامة، مما جعل النافين للرؤية يقولون : إن هذه الأدلة، ظنية الدلالة فتم رد الاستدلال بهذه الأدلة برد بعض هذه الأحاديث، وهي في الصحيح بزعم أنها ظنية الدلالة أو تأويلها تأويلاً فاسداً أو محاولة إيجاد تعارض في بعض هذه الروايات ليستدل بها على ثبوت رؤية الله تعالى وهذا يؤدي إلى خدمة أعداء الإسلام بالطعن في السنة النبوية الشريفة خاصة أن أكثر هذه الروايات في صحيح البخاري ومسلم.

(٣) القول بثبوت الرؤية بأدلة قطعية يجعل قضية الرؤية قضية إيمانية، يجب الإيمان بها، ويكفر منكرها، مما جعل السلف الصالح يكفرون منكر الرؤية، مما جعل المتشددین يأخذون من هذه الأقوال ذريعة لتكفير كل الفرق الإسلامية عدا أهل السنة .

(٤) الطعن في أهل السنة ووصفهم بالمجسمة لأنهم يثبتون الرؤية، والرؤية عند النافين لا تكون إلا بشروط لا تصلح إلا للأجسام فكان لا بد من بيان الرؤية التي يقول بها أهل السنة هل هي الرؤية التجسيمية أم غيرها وهل رؤية الله تعالى يمكن أن تتحقق دون هذه الشروط أم لا .

ولحل هذه المشكلة وهذا النزاع سنعرض سؤالاً أساسياً وهو : ما موقف جمهور الفرق الإسلامية من رؤية الله تعالى في الآخرة من حيث الأدلة القطعية والظنية ؟

أهمية البحث

تتضح أهمية البحث في النقاط التالية :

- (١) إثبات إنه لا يوجد تعارض بين الأدلة القطعية، باختلاف الفرق في رؤية الله - تعالى - بين الثبوت والنفي وزعم كل فريق أن أدلته قطعية يجعل ذلك ذريعة لأعداء الإسلام للطعن في كتاب الله تعالى بأن به تناقضاً، فعند النظر في الأدلة وبيان القطعي والظني والمحكم والمتشابه يتم رفع هذا التعارض، وسد أي ذريعة للطعن في كتاب الله تعالى.
- (٢) إثبات صحة وتواتر السنة النبوية الشريفة والرد على النافين للرؤية الذين يطعنون في الأحاديث النبوية الصحيحة والتي منها في صحيح البخاري ومسلم بزعم أنها أحاد وأنها مع كونها في الصحيح، لكنها منكرة متناقضة، فكان البحث لعرض مثل هذه الأحاديث ورد الشبهات حولها يسد ذريعة المتربصين لهذه الأقوال والشبهات للطعن في السنة النبوية الشريفة.

- (٣) إبراز أهمية الإيمان بقضية رؤية الله - تعالى - في الآخرة، وأن منكرها على خطر عظيم، لأنها قضية إيمانية عقدية ثبتت بظاهر القرآن الكريم، والسنة المتواترة، والإجماع وبيان كيف كفر السلف الجهمية الذين أنكروا رؤية الله تعالى.
- (٤) الكشف عن أن الأدلة القطعية العقلية التي زعم النافون للرؤية أنها قطعية هي في الحقيقة من قياس الغائب على الشاهد وهي ملتزمة من الحواس، فهي في الحقيقة أدلة ظنية لا يمكن أن تكون قطعية، نجد بقول ابن الهيثم^(١) مؤسس علم البصريات، وقد ذكر أن حقيقة الرؤية والأبصار غامضة، والحيرة متوجهة، واليقين متعذر، والمطلوب غير موثوق إليه، والمقدمات ملتقطة من الحواس، والحواس غير مأمونة الغلط، والباحث المجتهد غير معصوم من الغلط، فتشتت الآراء، وتفرق الظنون، وتختلف النتائج، ويتعذر اليقين، فيقول ما نصه: "إن المتقدمين من أهل النظر قد أمعنوا البحث عن كيفية إحساس البصر، وأعملوا فيه أفكارهم، وبذلوا فيه اجتهادهم، وانتهوا منه إلى الحد الذي وصل النظر إليه، ووقفوا منه على ما وقفهم البحث والتمييز عليه، ومع هذه الحال فأراؤهم في حقيقة الإبصار مختلفة، ومذاهبهم في هيئة الإحساس غير متفقة، فالحيرة متوجهة، واليقين متعذر والمطلوب غير موثوق بالوصول إليه. فالحقائق غامضة، والغايات خفية، والشبهات كثيرة، والأفهام كدرة، والمقاييس مختلفة، والمقدمات ملتقطة من الحواس، والحواس التي هي العدد غير مأمونة الغلط. فطريق النظر معفى الأثر، والباحث المجتهد غير معصوم من الزلل، فلذلك تكثر الحيرة عند المباحث اللطيفة، وتشتت الآراء، وتفرق الظنون، وتختلف النتائج، ويتعذر اليقين."^(٢)
- (٥) إثبات أن رؤية الله -تعالى- قد تم ثبوتها بالخبر المتواتر والإجماع، ورد الشبهات التي يمكن من خلالها الطعن في التواتر والإجماع.
- (٦) الكشف عن أنه يوجد اتفاق بين أهل السنة وبين النافين للرؤية في أن رؤية الله التجسيمية، مستحيلة، لكن الفرق أن أهل السنة يقولون أن الرؤية انكشاف بلا كيف مغايراً للعلم، وأن النافين للرؤية حملوا الرؤية على

(١) هُوَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْهَيْثَمِ وَوُلِدَ ٣٥٤ هـ أَصْلَهُ مِنَ الْبَصْرَةِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَأَقَامَ بِهَا إِلَى آخِرِ عَمْرِهِ وَكَانَ فَاضِلَ النَّفْسِ قَوِيَّ الذِّكَاةِ مُتَفَنِّئًا فِي الْعُلُومِ لَمْ يَمِائِلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي الْعِلْمِ الرِّيَاضِيِّ وَلَا يَقْرَبُ مِنْهُ، كَانَ خَبِيرًا بِأَسْوَاقِ صِنَاعَةِ الطَّبِّ وَقَوَائِنِهَا وَأُمُورِهَا الْكُلِّيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُبَاشِرْ أَعْمَالَهَا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ دَرَجَةٌ بِالْمَدَاوِئِ وَتَصَانِيفِهِ كَثِيرَةٌ الْإِفَادَةُ كَانَتْ حَسَنَ الْخَطِّ جَيِّدَ الْمَعْرِفَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ تُوَفِّيَ ٤٣٠ هـ، مُخْتَصِرَةٌ مِنْ كِتَابِ (عَيُونَ الْأَنْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ لِابْنِ أَبِي أُصَيْبَةَ ص ٥٥٢).

(٢) المناظر لابن الهيثم ص ٥٩-٦٠

مجرد العلم لذلك قال بعض العلماء أن الخلاف في مفهوم الرؤية يكاد يكون لفظياً .

(٧) الكشف عن أن الأدلة الخبرية القطعية عند النافين للرؤية مثل الشيعة كذكر الصحيفة السجادية، وهي عبارة عن جمع أدعية آل البيت، والتي فيها ذكر دعاء آل البيت عليهم السلام، وسؤال رؤية الله تعالى في الآخرة وهذه الصحيفة بلغت عندهم حد التواتر كالقرآن الكريم فيقول المجلسي ما نصه : "والذي رأيت من أسانيد الصحيفة بغير هذه الأسانيد فهي أكثر من أن تحصى، ولا شك لنا في أنها من سيد الساجدين، أما من جهة الإسناد فإنها كالقرآن المجيد وهي متواترة من طرق الزيدية أيضاً، وأما من حيث العبارة فهي أظهر من أن يذكر فهو كالقرآن المجيد في نهاية الفصاحة، وأما من جهة الإحاطة بالعلوم الإلهية فهو أيضاً ظاهر لمن كان أدنى معرفة بالعلوم." (١)، وهذا مع بطلان قوله المبالغ فيه "وأما من حيث العبارة فهي أظهر من أن يذكر فهو كالقرآن المجيد في نهاية الفصاحة، وأما من جهة الإحاطة بالعلوم الإلهية فهو أيضاً ظاهر لمن كان أدنى معرفة بالعلوم" لأنه إذا كان كذلك فنكون قد قلنا بأن الصحيفة السجادية معجزة للبشر في الفصاحة والبلاغة، وهذا يؤدي إما إلى القول بخروج آل البيت من كونهم من البشر والجن، ورفعهم لمرتبة الألوهية لقدرتهم على الإتيان بكلام مثل كلام رب العالمين في فصاحته وبلاغته وهذا كفر، وقد أخبر المولى ببطلانه وعدم حدوثه فقال سبحانه ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٢)، أو تجويز وقوع خلاف ما أخبر به المولى سبحانه أي وقوع الكذب من الله تعالى وهو كفر وقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (٣)، فمع الرفض الكامل لهذه المبالغة الشديدة في هذه الصحيفة، لكن قوله يدل على قوة حجة هذه الصحيفة عندهم، ووجود سؤال آل البيت ودعائهم المولى سبحانه رؤية الله تعالى في الآخرة وأن يتمتعهم بالنظر إليه سبحانه فيدل على ثبوت رؤيته بالنظر إليه لا غير فكان من الواجب الإيمان برؤيته سبحانه وأن يسألوا المولى أن يتمتعهم بالنظر إليه يوم القيامة كما سألها آل البيت الذين يزعمون اتباعهم ورد أي رواية أخرى تعارض هذه الروايات، ما دامت هذه الروايات بلغت من الحجة والتواتر حجة وتواتر القرآن الكريم .

(٢) بحار الانوار للمجلسي ج ١٠٧ ص ٥٩

(٢) سورة : الإسراء آية : ٨٨

(٣) سورة : النساء آية : ٨٧

(٨) الكشف عن أن الفرق الإسلامية لا تنكر النصوص القطعية من كتاب الله - تعالى - فلا يحكم عليهم بالكفر وتم حمل تكفير السلف لمن أنكر الرؤية على الجهمية، لأنها أنكرت النصوص القطعية، والتي منها آيات من كتاب الله تعالى لذلك كفرهم السلف صراحة بخلاف الفرق الإسلامية لا يكفرون بآيات الله تعالى ولكن يحملونها على غير وجهها الصحيح.

منهج البحث

لقد تتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك بتتبع قدر المستطاع أقوال النافين للرؤية من كتبهم ومن كتب أهل السنة، ومناقشة هذه الفرق في نهاية كل فصل بالتحليل والنقد العلمي المبني على الدليل والبرهان، وبناء على القواعد المنطقية عليها في إثبات العقيدة الإسلامية أن يكون الدليل قطعي الثبوت قطعي الدلالة ويمكن ذكر منهج البحث كالتالي:

أولاً : ذكر الآيات القرآنية الكريمة التي استدللت بها الفرق الإسلامية، وترتيب الآيات حسب قوة الاستدلال والجدال حولها لكونها قطعية أو أقرب للقطعية عند كل فريق، وقد جعلنا لكل آية ذكر أقوال كل فرقة خاصة بها بالتفصيل؛ لأهمية الاستدلال بهذه الآيات، ثم تم ذكر بعض الآيات الأخرى، والكلام حولها، وقد علم منها ثبوت الرؤية لتفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة الكرام لها، أو الآيات التي يمكن أن يفهم منها نفي الرؤية، لكن هذه الآيات وحدها لا يمكن أن تكون حجة بذاتها منفردة على ثبوت الرؤية لذلك تم ذكر مناقشتها اختصاراً .

ثانياً : ذكرنا الأحاديث النبوية، الشريفة، وتخريجها، وحكم أهل الحديث عليها دون أي تدخل في التصحيح والتضعيف، لكن الحكم كان للمحدث وأهل الاختصاص، وذكرنا أحاديث تفسير الطبري، واكتفينا فيه بذكر التخريج للطبري، وذلك لوجود بعض الأحاديث في تفسير الطبري، لم أجد لها أصلاً إلا في تفسير الطبري.

ثالثاً : تم التعرض لبعض روايات الطبري التي تم ذكرها في ذكره روايات نفي الرؤية عن مجاهد وغيره، مما يجعل هذه الرواية ذريعة لخرق الإجماع، فتم البحث في رجال هذه الرواية والبحث في ذكر الروايات عن مجاهد، وبيان أن الرواية التي عن مجاهد، والتي فيها نفي الرؤية روايات مكذوبة، وذلك بعد بيان حكم المحدثين على رجال هذه الرواية والحكم عليهم بالكذب والوضع، وذكرنا بعض الروايات عن مجاهد يقول فيها بثبوت الرؤية، لكنها ضعيفة أيضاً كما بينا ذلك عند الحديث عن الإجماع على ثبوت رؤية الله - تعالى - .

رابعاً : تم ذكر الترجمة لبعض العلماء والرجال الذين تم ذكرهم، وقد يكون العالم فيهم غير معروف مثل علماء الإباضية وغيرهم، ولم يتم ذكر الترجمة لبعض العلماء المعروفين لشهرتهم، فإن المعروف لا يعرف.

خامساً : تم ذكر فهرس المحتويات بدءاً من الباب، وانتهاء بالعناوين الدالة على كل مطلب.

الدراسات سابقة في رؤية الله تعالى

ولقد تمت بعض الدراسات السابقة لرؤية الله تعالى ومنها :

- (١) رؤية الله – تعالى - وتحقيق الكلام فيها رسالة ماجستير من جامعة الملك عبد العزيز للباحث / أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد
 - (٢) رؤية الله – تعالى - بين المثبتين والنافين رسالة ماجستير مقدمه في جامعة الخليل للباحث / تهاني عبد العزيز .
 - (٣) منهج الإمام الماتريدي في بحث مسألة رؤية الله تعالى - دراسة تحليلية – إعداد : إبراهيم سليمان سويلم – كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بورسعيد.
 - (٤) رؤية الله عز وجل بين المتكلمين والسلف – دراسة وتقويم – إعداد : عيسى عبد الله علي - كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية - جامعة قطر.
 - (٥) رؤية الله بين السلف والاعتزال ، إعداد / مريم عبد الرحمن زامل – رسالة ماجستير – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى
 - (٦) رؤية الله تعالى في الآخرة وموقف أهم الفرق الإسلامية، إعداد / حمد صالح سالم الحميدة - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت
- ويمكن ذكر الفروق بين هذه الرسالة والرسائل السابقة الأخرى في النقاط التالية:
- (١) اختلاف المنهجية، فوجد في الرسائل السابقة لم يتم التفريق فيها عند الاستدلال بين القطعي والظني والمتواتر والأحاد، وهذا خلاف المنهج الذي تم عليه بناء الرسائل.
 - (٢) أكثر هذه الرسائل تكلمت عن الرؤية في الدنيا والآخرة، بخلاف هذه الرسالة كانت خاصة بالحديث عن الرؤية في الآخرة.
 - (٣) القيام بعمل باب كامل للأدلة العقلية في الحديث عن شروط الرؤية عند جميع الفرق ومناقشتها، وهذا لم يتم وجوده في الرسائل السابقة.
 - (٤) تخصيص كل آية من الآيات القرآنية التي هي قطعية أو أقرب للقطعية عند أصحابها بجعل لكل آية مبحثاً خاصاً بها وذكر أقوال الفرق، وأدلتها ومناقشة أدلة هذه الفرق بالتفصيل.
 - (٥) عدم الاكتفاء بالأدلة النقلية لأهل السنة بل تم الاستدلال بالأدلة النقلية للشيعية وذلك بذكر الروايات الصحيحة والمتواترة التي تثبت الرؤية من الكتب الشيعية ككتاب تفسير القمي

والذي قال بصحة جميع روايتها الخوئي أو الصحيفة السجادية، وهي قطعة الثبوت كالقرآن الكريم عندهم
(٦) ذكر وجهة نظر خاصة في بعض النقاط مثل الجواب عن سؤال مما تاب موسى عليه السلام، فكان الجواب بغير ما تم ذكره من الفرق الإسلامية .

ملخص الرسالة

تناولت الدراسة موضوعاً بعنوان : (رؤية الله - تعالى - في الآخرة عند جمهور الفرق الإسلامية) وكان منهج البحث هو المنهج الاستقرائي والتحليلي، وقد قدمت في البداية بجعل تمهيدا للتعريف بهذه الفرق الإسلامية التي تم اختيارها وهي : (المعتزلة - والشيعة - والإباضية - وأهل السنة) فتم ذكر نبذة مختصرة عنها من حيث التعريف، وأهم معتقدات هذه الفرق، وذلك تحت عنوان (مفاهيم الدراسة) ، ثم قمت بمقدمة لتعريف الرؤية من اللغة والاصطلاح ثم بيان ذكر مفهوم الرؤية عند المثبتين والنافين، ثم بعد ذلك قمت بعمل :

الباب الأول : الأدلة العقلية عند النافين والمثبتين لرؤية الله تعالى.

وتكوّن هذا الباب من فصلين :

الفصل الأول : يحتوي على أهم الأدلة العقلية لكل فريق من حيث الثبوت والنفي.

الفصل الثاني : يحتوي على مناقشة هذه الأدلة العقلية بالتحليل والنقد البناء .

ثم قمت بعد ذلك :

الباب الثاني : الأدلة النقلية عند النافين والمثبتين لرؤية الله تعالى.

وتكوّن هذا الباب من فصلين :

الفصل الأول : الاستدلال بالآيات القرآنية بين النافين والمثبتين ومناقشتها.

وقد تم في هذا الفصل ذكر أهم الآيات التي تناولت رؤية الله تعالى في الآخرة، فقمت بذكر أقوال الفرق ومناقشة هذه الأقوال بالتفصيل.

الفصل الثاني : إثبات رؤية الله تعالى من الأحاديث النبوية الشريفة، والروايات الشيعية والإجماع، وإثبات كفر من جحد النصوص القطعية للرؤية .

وقمت في هذا الفصل بإثبات رؤية الله تعالى من الروايات السنية والشيعية والإجماع وأن من جحد النصوص القطعية للرؤية قد كفر ولكن الفرق الإسلامية لم تجحد هذه النصوص فلا يلحقها حكم منكر هذه النصوص القطعية من كتاب الله تعالى .
ثم بعد ذلك تم ذكر الخاتمة والنتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث

مناقشة الفرق في النفي والإثبات للرؤية في ضوء قوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ :

قبل البداية في مناقشة الفرق في الاستدلال بهذه الآية والكلام عنها لا بد من بيان أنه يوجد بين النافين والمثبتين موضع إتفاق وموضع اختلاف :

الأول موضع الإتفاق : إتفق النافون والمثبتون على أن رؤية الله - تعالى - التي تلزم الإحاطة والحدود والنهايات والتحيز في مكان و جهة مستحيلة على الله تعالى الثاني موضع الاختلاف : إن النافين قالوا باستحالة الرؤية، لأنه لا يمكن أن تصح الرؤية إلا بثماني شروط، والتي يلزم من هذه الشروط الثمانية التحيز في المكان والجهة، وجعل كونه محدودًا سبحانه و- تعالى - وغير ذلك من المستحيلات وعند أهل السنة يمكن أن تحدث الرؤية دون هذه الشروط أو بعضها فقال أهل السنة تثبت الرؤية التي وردت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله بأننا نقول بالرؤية دون إلزام وقوع هذه الشروط الثمانية التي تلزم وقوع المستحيل ولا نقول أنها العلم بل هو أمر زائد على العلم رؤية بلا كيف، حتى لا نضرب كتاب الله بعضه ببعض مع إيماننا بوقوعها كما أخبر - سبحانه وتعالى - وبعد أن عرفنا موضع الاتفاق والخلاف ندخل لمناقشة أقوال النافين والمثبتين معًا نقول وبالله التوفيق:

جعل أهل السنة الإدراك في الآية لا يُعارض رؤية الله في الآخرة إذا تم حمله على وجه أو عدة أوجه مختلفة حتى لا يوجد تعارض بين النصوص القرآنية والروايات التي وردت في السنة الصحيحة قطعية الدلالة، فجادل المعتزلة وغيرهم بنفي هذه الوجوه بكل قوة، حتى تكون الآية قطعية الثبوت وقطعية الدلالة في النفي لأنه من المعلوم إذا صح حمل الآية على وجه من الوجوه غير الرؤية الأخروية سقط عمدة الاستدلال عندهم لنفي الرؤية من النقل فإذا سقط الاستدلال بهذه الآية على نفي الرؤية وهي العمدة عندهم سقط أي دليل بعد ذلك لنفي الرؤية وأمكن تأويله على أي وجه من الوجوه لذلك إليكم بعض أهم هذه الوجوه :

الوجه الأول : حمل أهل السنة الإدراك في الآية الكريمة على الإحاطة والشمول، وأن الله يُرى دون إدراك وشمول وأصل الإدراك في اللغة ليس بمعنى الرؤية، ولكن بمعنى اللحوق، وإنه يختلف عن الرؤية كما ذكر ابن حزم في قوله

تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾^(١) فيكون الإدراك هنا ليس بمعنى الرؤية، كذلك يوم القيامة فلا وجه للاحتجاج على نفي الرؤية فاعترض النافون وقالوا كما ذكر عبد الجبار وغيره ذلك إذا كان الإدراك بمعنى اللحوق فعلا لكن الإدراك هنا قرن بالبصر فإذا قرن بالبصر لم يفد إلا معنى الرؤية ثم أن أصل الإدراك لا يفيد الإحاطة فلا يقال (أدرك السور المدينة) حتى لو أحاط بها فإذا كان الإدراك دون اقتران البصر لم يفد الإحاطة فكيف إذا كان مقروناً بالبصر؟؟ بجانب أيضا أنه إذا كان الإدراك المضاف بالبصر لا يكون إلا بمعنى الإحاطة ما صح أن يقال أبدا (أدركته ببصري)، لأنه لا يوجد بصر يرى الشيء من جميع الجوانب في وقت واحد وحال واحد، هذا تلخيص استدلال المعتزلة وبقيّة الفرق في نفي الرؤية في ضوء هذه الآية .

نقول إذا تكلمنا عن الرؤية والإدراك من هذا الوجه لا بد من أن نسأل سؤالا أي إدراك في الآية يقصده النافي؟ فإن الآية تقول ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٢) وهنا نسأل سؤالا هل إدراك الله تعالى للمخلوقين برويته سبحانه لهم رؤية (مستلزمة الإحاطة) أم رؤية (غير مستلزمة الإحاطة)؟ فإن قالوا رؤية الله تعالى للمخلوقين دون إحاطة وشمول قلنا هذا قول فاسد لأن الآية في مقام مدح والرؤية دون إحاطة وشمول للمرئي رؤية ناقصة تناقض المدح في الآية وهي الرؤية التامة رؤية إحاطة وشمول فنفيها يناقض المدح بجانب أنه لو جعل إدراكه سبحانه هو مجرد رؤيته لعباده كان مشتركا مع العباد في (الإدراك)، فكما أنه يرى الأبصار كذلك يرى العباد الأبصار، فلم يكن لله تعالى اختصاص ولا تمدح في ذلك، بخلاف لو قلنا أنه يري الأبصار رؤية من حيث لا تدرك العباد الأبصار ولا رب الأبصار كان أقوى في المدح وهذا يشبه ما قاله الإمام أبو حيان ت٥٧٤٥ في البحر المحيط فيقول - رَحِمَهُ اللَّهُ - نقلا عن الإمام الماتريدي ت٥٣٣٣: "قَالَ الْمَاتَرِيْدِيُّ: وَالْبَصْرُ هُوَ الْجَوْهَرُ اللَّطِيفُ الَّذِي رَكَّبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَاسَةِ النَّظْرِ بِهِ تُدْرِكُ الْمُبْصِرَاتُ وَفِي قَوْلِهِ: وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِدْرَاكَ لَا يُرَادُ بِهِ هُنَا مُجَرَّدُ الرَّوْيَةِ إِذْ لَوْ كَانَ مُجَرَّدَ الرَّوْيَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَعَالَى بِذَلِكَ اخْتِصَاصٌ وَلَا تَمَدُّحٌ، لِأَنَّا نَحْنُ نَرَى الْأَبْصَارَ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْإِدْرَاكَ الْإِحَاطَةَ بِحَقِيقَةِ الشَّيْءِ فَهُوَ تَعَالَى لَا تُحِيطُ بِحَقِيقَتِهِ الْأَبْصَارُ وَهُوَ مُحِيطٌ بِحَقِيقَتِهَا"^(٣)، فلم يبق قولهم إلا أن الإدراك هو رؤية الله - تعالى - للأبصار رؤية إحاطة وشمول فنقول هنا ورؤية العباد المنفية لله تعالى هي من جنس الإدراك الذي تم إثباته لله تعالى رؤية بإحاطة

(١) الشعراء: ٦١

(٢) الأنعام: ١٠٣

(٣) البحر المحيط في التفسير لابي حيان ج٤ ص٦٠٦

وشمول أو كما قال الإمام الرازي (١) بمعنى أوضح فيقول رحمه الله "قَالَحَاصِلُ أَنَّ الرُّؤْيَةَ جِنْسٌ تَحْتَهَا نَوْعَانِ: رُؤْيَةٌ مَعَ الإِحَاطَةِ وَرُؤْيَةٌ لَآ مَعَ الإِحَاطَةِ. وَالرُّؤْيَةُ مَعَ الإِحَاطَةِ هِيَ الْمُسَمَّاءُ بِالإِدْرَاقِ فَفَنَفْيُ الإِدْرَاقِ يُفِيدُ نَفْيَ نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْ/ نَوْعِي الرُّؤْيَةِ، وَنَفْيُ النُّوعِ لَا يُوجِبُ نَفْيَ الجِنْسِ ، فَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ نَفْيِ الإِدْرَاقِ عَنِ الله تَعَالَى نَفْيُ الرُّؤْيَةِ عَنِ الله تَعَالَى، فَهَذَا وَجْهٌ حَسَنٌ مَقْبُولٌ فِي الاعتراض على كلام الخصم." (٢) لذلك هنا أمتدح نفسه سبحانه بأنه لا تدركه الأبصار كما أن بصره سبحانه يدرك المخلوقين وإدراك الله للعباد لا يكون إلا بإحاطة وشمول والعباد إدراكهم لله تعالى يستحيل بإحاطة وشمول لأنه سبحانه ليس له حدود ولا نهاية لذلك استحق المدح سبحانه على المخلوقين في ضوء هذه الآية، وهذا يشبه قول الإمام النسفي (٣) - رَحِمَهُ اللهُ -ت-٥٣٧هـ فجعل الآية نفسها دليل لإثبات الرؤية وليس دليل علي فيها فإنه قد قال: "أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية إذ نفي إدراكاً مع تحقق الرؤية إذا انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهي والحدود عن الذات ، فكانت الآية حجة لنا عليهم." (٤) ونجد قول القاضي ت٤١٥هـ: "فإن قيل : إنا ندعي أن الإدراك بالبصر، وإن لم يكن بخلاف الرؤية فهو رؤية بالبصر علي وجه مخصوص، وهو أن يرى الشيء من جميع جهاته

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي ولد ٥٤٤هـ الإمام المفسر المتكلم، أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل: لقب بشيخ الإسلام. من ذرية أبي بكر الصديق. أصله من طبرستان. ولد في الري، وإليها نسبته. ويقال له ابن خطيب الري. رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وأتقن علوماً كثيرة وبرز فيها. وكان شافعياً أشعرياً، ناظر المعتزلة، واشتغل بالتدريس في الحيرة. وانقطع في أواخر أيامه للوعظ فكان يحضر مجلسه الخاص والعام. له مصنفات كثيرة أقبل الناس عليها في حياته يتدارسونها. وتوفي في هراة، وخلف تركة ضخمة. من كتبه "مفاتيح الغيب" ثمانى مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و "ترجع شهرة الرازي ومكانته في تاريخ الفكر الإسلامي إلى هذا الكتاب، إذ جمع بين المباحث الكلامية والفلسفية والدينية ت٦٠٦هـ معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر لعادل نويهض ج٢ ص٥٧٦.

وترجم له العلامة تاج الدين السبكي فقال : هو مُحَمَّدُ بن عمر بن الحسن بن الحسين النَّيْمِيّ البُكْرِيّ الإمام فخر الدين الرَّازِيّ ابن خطيب الرِّيِّ إمام المُتَكَلِّمِينَ ذو الباع الواسع في تَغْلِيْقِ العُلُومِ والاجتماع بالشاسع من حقائق المَنطُوقِ وَالمَفْهُومِ والارتفاع قدرا على الرفاق، وخاض من العُلُومِ في بحار عميقة وراض النَّفسِ في دفع أهل البدع وسلوك الطَّرِيقَةَ أما الكَلَامُ فَكَلَّ سَاكِتَ خَلْفَهُ وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الإمام رد على طوائف المبتدعة وهد قواعدهم طبقات الشافعية للسبكي ج٨ ص٨١

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ج١٣ ص١٠

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل إبذج (من كور أصبهان) ووفاته فيها. نسبته إلى "نسف" ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند له مصنفات جليلة، منها "مدارك التنزيل ثلاثة مجلدات، في تفسير القرآن، و "كنز الدقائق" في الفقه ت٧١٠هـ الأعلام للزركلي ج٤ص٦٧

(٤) تفسير النسفي ج١ ص٥٢٧

فيصير الرائي له محيطا ... قيل له : إن الأمر لو كان على ما زعمتم لوجب أن لا يوصف الواحد منا أنه يدرك ببصره هذه الأجسام الحاضرة لأنه لا يراها في وقت واحد من جميع الوجوه ولوجب أن لا يوصف في الحقيقة أنه أدرك اللون ببصره ، لأنه لا جهات له يُرى عليها فإذا بطل ذلك وعلم أنه لا شيء يوصف الواحد منا بأنه يراه ببصره لأنه لا جهات له يري عليها" (١) ، نقول هنا إذا كان يوجد بصر من المخلوقين لا يحيط بالشيء من جميع الجوانب وذلك لعجز البصر المخلوق ومع عجز البصر المخلوق على ذلك لم يتم مساواة الرؤية المطلقة بالإدراك الذي يفيد الرؤية الشاملة وذلك بإطلاق الإدراك على رؤية الشيء من بدايته الي نهايته أي من جانبيه ونهايته وهي أعلى ما يمكن أن تصل به الرؤية المخلوقة لذلك قيل عنها إدراك لأن لحوق البصر إلى طرفي الشيء ونهايته يشبه الشمول والإحاطة لأن الإحاطة تمت فعلاً من الجانبين البداية والنهاية فيقال علي الشيء إذا أدرك ببصره نهايته ادركته ببصري وإذا لم يدرك نهايته لم يصح القول بأنه (أدركه ببصره) وإن كان يصح القول (رأيته ببصري) مع عدم إدراكي له والدليل علي ذلك ما ذكره ابن كثير ت ٧٧٤هـ في تفسيره فيقول رحمه الله: "قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (٢) قال لا يحيط بصر أحد بالملك، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد، حدثنا أسباط، عن سماك، عن عكرمة، أنه قيل له "لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ" قال ألسنت ترى السماء؟ قال بلى، قال فكلها ترى" (٣) ، فلو الرجل أدرك نهاية طرفي السماء ببصره لصح له قول أنه أدركها وما كان أنكر عليه ابن عباس بسؤاله الاستنكاري فكلها ترى؟ ونجد الإمام الجرجاني في شرح المواقف يؤكد هذا المعنى ويوضحه بأنه يصح أن يقال رأيته وما أدركته ببصري إذا لم ير من جانبيه فيقول - رَجَمَهُ اللَّهُ -: (أن الإدراك هو الرؤية على نعت الإحاطة بجوانب المرئي إذ حقيقته النيل والوصول وأنا لمدركون أي ملحقون)، وأدركت الثمرة أي وصلت إلى حد النضج وأدرك الغلام أي بلغ (ثم نقل إلى) الرؤية (المحيطة) لكونها أقرب إلى تلك الحقيقة (والرؤية المنكيفة) بكيفية الإحاطة (أخص) مطلقا (من) الرؤية (المطلقة فلا يلزم من نفيها) أي نفي المحيطة عن الباري - سبحانه وتعالى - لامتناع الإحاطة (نفيها) أي نفي المطلقة عنه (قوله لا يصح نفي أحدهما مع إثبات الآخر قلنا ممنوعاً بل يصح أن يقال رأيته وما أدركه بصري أي لم يحط به) من جوانبه (وإن لم يصح عكسه) (٤)

(١) المغني للقاضي عبد الجبار ج ٢ ص ١٤٧

(٢) الأنعام: ١٠٣

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٧٨

(٤) شرح المواقف للجرجاني ج ٨ ص ١٤٠

لذلك بينما قبل ذلك كيف جعل الإمام النسفي ت ٥٣٧ هـ هذه الآية حجة في إثبات الرؤية، لأن الإدراك بالبصر هي رؤية الشيء من بدايته إلى نهايته أي رؤية حده ومنتهاه والله تعالى منزه عن الحدود والنهاية فلا حد له ولا نهاية له فكان نفي الإدراك المتمدح به هو نفي الحد والنهاية له سبحانه مع إثبات رؤيته دون حد ونهاية لتنزّه عن ذلك فكان ذلك عين التمدح ودليل على الإثبات وأما بالنسبة للون وأنه يُدرك بالبصر وهو لا نهاية له فنقول إن اللون عرض لا تتم رؤيته وإدراكه بالبصر إلا إذا كان قائماً بجسم والجسم لا يكون إلا متحيزاً من جميع الجهات فيأخذ اللون حكم الجسم لأنه ما تمت رؤية اللون إلا بروية هذا الجسم فيأخذ حكمه في الرؤية والإدراك بالبصر .

وأما قول النافين أيضاً بأن الإدراك لا يستخدم بمعنى الإحاطة فلا يقال : " أدرك السور المدينة " وإن كان يحيط به من جميع الجهات فإذا كان لم يستخدم الإدراك بمعنى الإحاطة في المطلق فكيف يستخدم إذا قرن بالبصر؟
نقول إذا كان الإدراك في أصله ليس بمعنى الإحاطة لكن معناه كما ذكرتم أنتم بأنه اللحق أو لحوق الشيء إلى منتهاه فمن معاني مادة الإدراك الوصول إلى قعر الشيء ونهايته كما في قول (أدركت الثمار إذا بلغ نضجها وانتهى) ففي لسان العرب : " في لُغَةِ الْعَرَبِ، قَالَ: وَمَا عَلِمْتُ أَحَدًا قَالَ أَدْرَكَ الشَّيْءُ إِذَا فَنِيَ فَلَا يُعْرَجُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَلَكِنْ يُقَالُ أَدْرَكَتِ الثَّمَارُ إِذَا بَلَغَتْ إِنَاهَا وَأَنْتَهَى نُضْجُهَا"^(١) ولذلك كان من معاني الإدراك الوصول إلى أسفل الشيء ومنتهاه كما في قصة فرعون أدركه الغرق أي لحقه الغرق الى منتهاه ويقال درك جهنم أي الوصول الي منتهى جهنم وقعرها ففي لسان العرب : "وَالدَّرَكُ وَالدَّرَكُ: أَقْصَى قَعْرِ الشَّيْءِ، زَادَ التَّهْذِيبُ: كَالْبَحْرِ وَنَحْوِهِ. شِمْرٌ: الدَّرَكُ أَسْفَلَ كُلِّ شَيْءٍ ذِي عُمُقٍ كَالرَّكِيَّةِ وَنَحْوِهَا. وَقَالَ أَبُو عَدْنَانَ: يُقَالُ أَدْرَكُوا مَاءَ الرَّكِيَّةِ إِدْرَاكًا، وَدَرَكَ الرَّكِيَّةَ قَعْرُهَا الَّذِي أَدْرَكَ فِيهِ الْمَاءُ، وَالدَّرَكُ الْأَسْفَلُ فِي جَهَنَّمَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا: أَقْصَى قَعْرِهَا، وَالْجَمْعُ أَدْرَاكٌ وَدَرَكَاتُ النَّارِ: مَنَازِلُ أَهْلِهَا، وَالنَّارُ دَرَكَاتٌ وَالْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ، وَالْقَعْرُ الْأَخْرُ دَرَكَ وَدَرَكَ، وَالدَّرَكُ إِلَى أَسْفَلِ الدَّرَجِ إِلَى فَوْقِ، وَفِي الْحَدِيثِ ذُكِرَ الدَّرَكُ الْأَسْفَلُ مِنَ النَّارِ، بِالتَّخْرِيكِ وَالتَّسْكِينِ، وَهُوَ وَاجِدٌ الْأَدْرَاكِ وَهِيَ مَنَازِلُ فِي النَّارِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا. التَّهْذِيبُ: وَالدَّرَكُ وَاجِدٌ مِنْ أَدْرَاكِ جَهَنَّمَ مِنَ السَّبْعِ، وَالدَّرَكُ لُغَةٌ فِي الدَّرَكِ الْفَرَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ"^(٢)، والرؤية البشرية العادية الآن تكون بلحوق بصر الرائي إلى المرئي دون اشتراط رؤية طرفي نهايته فإذا أضيف البصر إلى الإدراك كان الإدراك معناه لحوق البصر إلى طرفي الشيء ونهايته وهو الذي يسمى (إدراك بالبصر) لذلك يقال رأيت السماء

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١٠ ص ٤٢٢

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ١٠ ص ٤٢٢

ببصري ولم أدرك السماء ببصري كما مر أيضا من قول ابن عباس قد رأيت السماء أكلها ترى؟ أي هل بلغ بصرك إلى نهايتها؟ فالإدراك بالبصر أي معناه لحوق البصر بالرب إلى منتهى الرب ونهايته أي رؤية نهايتي الرب الذي قلناه سابقا وهذا محال على الله تعالى فيكون معنى الآية لا تلحقه أبصار الباصرين إلى نهاية ذاته سبحانه فلا تدرکه وهو الذي يرى بصر المبصرين رؤية إحاطة وشمول من بدايتها إلى نهايتها فيدركها سبحانه.

أيضا وجدنا محاولة النافين لجعل كون الآية نفي التمدح بمجرد عدم الرؤية بجعل التمدح في الآية يصح لأن نفي الإدراك راجع إلى الذات لا إلى الفعل ولا بالاختيار فكان التمدح لأمر يرجع إلى ذاته بكونه نبي على نفي الإدراك بالرؤية يرجع إلى حال لذاته كقوله ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾^(١) على أنه في ذاته يستحيل ذلك فوجب نفي الرؤية فيقول القاضي: (قلنا إنه تعالى تمدح في هذه الآية بنفي أمر يرجع إلى ذاته لأن ما يصح أن يرى أو يستحيل فيه ذلك أو ينتفي لا يتعلق بالفعل ولا باختيار مختار فإذا صح ذلك وتمدح جل وعز بأن الأبصار لا تدرکه فيجب أن يكون ذلك تمداحا بأمر يرجع إلى ذاته فكأنه -عز وجل- نبي بذلك علي حال معها يستحيل أن يرى كما أنه تعالى نبي بقوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾^(٢)^(٣).

وللرد نقول: القاضي^(٤) لم يبين هذه الحالة ما هي الحالة؟ والتي يقصد بها بأن الرؤية لا تصح مع وجود هذه الحالة؟ وهذه الحالة يقصد بها بأن يصير سبحانه من الأجسام فما نفت المعتزلة الرؤية إلا لهذا السبب ثم استدلاله بأنه تعالى تمدح بالنفي المحض من كونه لا تأخذه سنة ولا نوم ولم تكن له صاحبة ولا ولد لأن كل هذه الصفات من صفات الأجسام فعندما كان ربنا ليس بجسم امتنعت رؤيته.

فجعل أصل التنازع في أمر بيننا وهو جواز الرؤية من عدمه استدلال قطعي على الكمال فكيف يتم الاستدلال بنفي الرؤية المتنازع فيها على أمر قطعي؟ وقد بينا في السابق أنه ليس بلازم رؤية الله تعالى أن يكون جسما فقياس ذلك على قول الله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾^(٥)، فبإثبات سبحانه إنه حي نفي الموت وبإثبات أنه قيوم نفي الافتقار إلى الغير وبنفي النوم نفي الغفلة والموت الأصغر عنه سبحانه فإن النوم موت أصغر وكلها أمور قطعية مثبتة

(١) البقرة: ٢٥٥

(٢) البقرة: ٢٥٥

(٣) كتاب المغنى للقاضي عبد الجبار المجلد الرابع رؤية الباري ص ١٥٢

(٤) هو القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمداني * العلامة، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمداني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، ولي قضاء القضاة بالرقي، وتصانيفه كثيرة (١)، تخرّج به خلق في الرأي الممقوت مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربع مائة، من أبناء التسعين. سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٤٥

(٥) البقرة: ٢٥٥

بالبدئية والنصوص القرآنية القطعية بيننا وبينكم وبين جميع الموحدين قطعية تنفي ذلك بخلاف الرؤية المختلف فيها بيننا وبينكم أما نفي مجرد الرؤية بزعم أن الرؤية تكون للأجسام فنقول لا يشترط هذا بالضرورة وإلا فيجب عليكم نفي كون الله عالماً قادراً مريداً فكما أنه لا يوجد قائم بنفسه عالم قادر مريد إلا جسماً على قياسكم الفاسد يجب نفي ذلك عن الله سبحانه وإلا كان من الأجسام وأنتم لا تتفون عن الله تعالى كونه عالماً مريداً قادراً سبحانه فسقط الزعم أن الآية نفت الرؤية لكون أن مجرد الأجسام متصفة بالرؤية ولا يكون ذلك إلا للمرئي وذلك للشروط الثمانية المزعومة التي لا تكون الرؤية إلا بها فقد بينا بطلانها وإمكانية حدوث الرؤية بها أو غيرها أو بعضها فيتم نفيكم من خلالها لذلك لا يتم نفي شيء مستحيل عن الله سبحانه إلا بالقطعي نقلاً وعقلاً ولا يكون ذلك إلا إذا جعلنا الإدراك بمعنى الرؤية التي يدرك بها الرائي نهايتي المرئي وحدوده هنا يصح التمدح بالعقل والنقل القطعي لأن الإحاطة بالله وجعل الله تعالى حدود ونهايات محال عليه قطعاً باتفاق قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(١) لذلك كما ذكرنا وبيننا قبل ذلك كيف جعل النسفي هذه الآية دليلاً على إثبات الرؤية وليس نفيها بأن المقصود بالإدراك نفي الرؤية اللازمة للإحاطة وإدراك نهاياته سبحانه بأن ذلك محال عليه سبحانه فما كان نفيه مدحاً كان إثباته نقصاً لذلك كانت الآية مدحاً له سبحانه بثبوت الرؤية مع نفي الإدراك بخلاف لو كان ذلك مجرد نفي الرؤية التي لا تفيد أي مدح، وهذا الوجه هو أحسن الوجوه وأقربها للنفس والقلب والعقل والنقل والذي اختاره ولكن لا يمنع من قوة الاحتجاج بالوجوه الأخرى في نفي الاستدلال بعدم الرؤية ولذلك سنتعرض لها أيضاً وناقشها مع المخالفين لنا .

الوجه الثاني : وذلك بجعل الإدراك بمعنى الرؤية لكن بحمل نفي الرؤية محمولاً على الدنيا دون الآخرة

فقالوا ولا يصح أن يكون المراد بالنفي في وقت دون وقت، كما لا يصح أن يكون نفي النوم ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٢) نفيًا في حال دون حال وإنما المدح كان للتمدح فعلم إن إثباته نقص والنقص لا يجوز على الله تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة وللدرد فنقول : يصح قولكم هذا إن قلنا لكم إن عين الرؤية في الآخرة كعين الرؤية في الدنيا من وجوب إلزام الحيز والجهة وخروج شعاع من المرئي إلى الرائي وغير ذلك مما زعمتم أنها شروط لا بد من أن تكون للرؤية ونحن قد جوزنا الرؤية وقلنا بوقوع رؤية الله تعالى دون هذه الشروط برؤية أخرى منزهة عن الجهة والحيز والشعاع وغير ذلك من شروط رؤية الأجسام فيتم نفي الرؤية في الدنيا لأن الرؤية تستلزم أن يكون الله جسماً يلحقه البصر فيكون ذلك نقصاً منزهاً عنه سبحانه ولا يمنع ثبوتها في الآخرة لأن

(١) طه : ١١٠

(٢) البقرة : ٢٥٥

الرؤية في الآخرة لن تكون بشروط الدنيا التي توجب كون الله جسماً حتى يرى لذلك نجد فخر الدين والملة الإمام الرازي ت٦٠٦هـ يرد عليهم في هذا الوجه فيقول رحمه الله: "الْوَجْهُ الثَّلَاثُ: أَنْ نَقُولَ صَيْغَةً الْجَمْعُ كَمَا تُحْمَلُ عَلَى الْإِسْتِعْرَاقِ فَقَدْ تُحْمَلُ عَلَى الْمَعْهُودِ السَّابِقِ أَيْضًا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَوْلُهُ: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ يُفِيدُ أَنَّ الْأَبْصَارَ الْمَعْهُودَةَ فِي الدُّنْيَا لَا تُدْرِكُهُ، وَنَحْنُ نَقُولُ بِمَوْجِبِهِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَبْصَارَ وَهَذِهِ الْأَحْدَاقَ مَا دَامَتْ تَبَقَى عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي هِيَ مَوْصُوفَةٌ بِهَا فِي الدُّنْيَا لَا تُدْرِكُ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنَّمَا تُدْرِكُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا تَبَدَّلَتْ صِفَاتُهَا وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهَا فَلِمَ قُلْتُمْ أَنَّ عِنْدَ حُصُولِ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ لَا تُدْرِكُ اللَّهُ؟"^(١)، فبين الرازي ت٦٠٦هـ رحمه الله بطلان نفي ذلك بصيغة الإنكار بأنه لا يحق لكم نفي هذا الوجه لأن الرؤية لن تكون بنفس الزامات الدنيا التي توجب إثبات النقص له سبحانه أو كونه جسماً بل ستتبدل وتتغير يوم القيامة لذلك أن قلنا لهم ما العلة في استحالة رؤية الله تعالى؟! لقالوا لأن رؤية هذه الابصار تستلزم الشروط الثمانية التي قد ذكرناها وهذا يقتضي إثبات كونه جسماً لذلك كانت رؤيته مستحيلة ممتدحا بها في الدنيا والآخرة نقول لهم إذا كان نفي الرؤية في الدنيا منفياً عن الله تعالى ممتدح بنفيها سبحانه وذلك لأن ثبوتها لا يكون إلا على هذه الحالة من رؤية الأجسام اللازم منه أن يكون المرئي متحيزاً محدوداً وأن يخرج الشعاع الذي يلحق به بصر الرائي المرئي وغير ذلك فمحال على الله تعالى فتكون الرؤية الدنيوية مستحيلة وممتدحاً بها سبحانه لأن رؤيته سبحانه بهذه الحالة تستوجب أن يكون جسماً والمولى منزّه عن الجسمية وممتدح بذلك فكانت الرؤية مستحيلة بخلاف الرؤية في الآخرة ستكون الرؤية دون جهة أو حيز أو شعاع وغير ذلك من الشروط التي تستلزم الجسمية فإن العلة هنا ترتفع فيرتفع معها الحكم بالنفي وهو المطلوب إثباته. وهذا الوجه لتفسير الآية من نفي الرؤية في الدنيا دون الآخرة هو الوجه الذي اختارته السيدة عائشة رضي الله عنها كما سنبينه -إن شاء الله- تعالى.

ونجد في المقابل حمل النفاه للرؤية في الآية على رؤية القلب أو العلم فنجد محمد أطفيش الإباضي ت١٣٣٢هـ يقول في تفسيره الذي قد ذكرناه قبل ذلك يقول: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)^(٢) ليدل على أن رؤيته مستحيلة بعيدة فانتة كالشيء الذي فات ، بحيث لو أريد التحاقاً به ، واجتهد في ذلك لم يدرك ولا دليل على اختصاص نفي رؤيته بالدنيا إلا ذلك الحديث ، وتلك الآية ، وقد علمت وجوب تأويلهما ، ولا يضرنا أن يُدْرِكُ في قوله: " وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ " بمعنى يعلم الإبصار من حيث إنه تعالى منزّه عن الجوارح ، لأننا نقول : استحالة الجارحة عنه تعالى دليل على أن هذا الإدراك المثبت له بمعنى العلم اللازم لبصر العين في الجملة ، لا بمعنى الإدراك المنفي عنه تعالى ، وهو رؤيته ، ولا يصح جعل الإدراكين معاً بمعنى

(١) تفسير الرازي ج ١٣ ص ١٠٠

(٢) الأنعام: ١٠٣

العلم ، لأن البصر لا يعلم شيئاً فضلاً عن أن يقال لا تعلمه الأبصار ، كما لا يقال: لا يعلمك إلا لداع إلى قوله ، وإنما العالم القلب ، والقلب يعلم الله إلى شبه معنى لا تدركه الأبصار لآ تراه ، وهب أنه بمعنى لا يعلمه أحداً ، فمعناه لا يعلمه العلماء علم إحاطة ولا بأس بذلك ، فيبقى نفي الرؤية مأخوذاً

من نفي صفات النقص المذكورة آنفاً عنه تعالى ، كما قال السدي : البصر بصر المعاينة ، وبصر علم ، وذكر الأبصار في قوله : "وهو يدرك الأبصار" لتأكيد نفي رؤيته تعالى^(١) ، وهنا فرق بين الإدراك الأول والثاني بجعل الإدراك الأول بالبصر بمعنى الرؤية لا العلم والثاني بمعنى العلم الملازم لبصر العين وحتى لا يوجد إدراك بمعنى العلم، فنسبه للقلب إنما العالم القلب، والقلب يعلم الله تعالى الأشعري -رحمه الله- ت ٣٢٤هـ قد فند هذا الوجه وبين أن العطف واحد ولا تفريق بينهما فقال رحمه الله ((ويقال لهم: حدثونا عن قول الله عز وجل: (وهو يدرك الأبصار) ما معناه؟

فإن قالوا: معنى ﴿ يدرك الأبصار ﴾ أنه يعلمها قيل لهم: وإذا كان أحد الكلامين معطوفاً على الآخر، وكان قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ معناه يعلمها، فقد وجب أن يكون قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ لا تعلمه، وهذا نفي للعلم لا لرؤية الأبصار^(٢)

فالتفريق بينهما باطل للآزم العطف بينهما والتفريق بينهما يبطل التمدح فيكون متمدح على خلقه بإدراك غير ما هو عين ما عجزوا عنه فيكون معنى الآية: (هم لا يرون الله والله يعلم بهم) فليس فيها تمدح لأن نفي الرؤية الذي هو عدم محض ليس فيه تفضل وتمدح لله بالعلم عن خلقه لأن نفي الرؤية عنهم لا يستلزم عدم علمهم بربهم فلا يحدث التمدح والتفضل إلا إذا كان الإدراك بمعنى واحد كما قال شيخنا الأشعري إما العلم وإما الرؤية فلو كان بمعنى العلم فيكون معنى الآية (لا يعلمون الله وهو يعلمهم) ففيه تمدح لأن العباد يعلمون بوجود الله فيكون المقصود بالعلم علم الإحاطة والشمول فيكون علم المولى بهم محيط بعلمه بهم وعدم إحاطة علم العباد به فجميع المؤمنين يعلمون الله لكن لا يحيطون به علماً فيكون متمدح بأنه أثبت لنفسه الإحاطة بهم مع عجزهم عن ذلك فيتمدح سبحانه بكامل علمه سبحانه على العباد الذين لا يحيطون به علماً وأما بحمله على الرؤية فيكون الإدراك المنفي كما قلنا رؤية إحاطة التي تستلزم جعل الله نهاية وحدود وهو متمدح سبحانه عن ذلك بنفي ذلك عن نفسه أما قول الإباضي: (وهب أنه بمعنى لا يعلمه أحد ، فمعناه لا يعلمه العلماء علم إحاطة ولا بأس بذلك ، فيبقى نفي الرؤية مأخوذاً من نفي صفات النقص المذكورة آنفاً عنه تعالى)^(٣) وقد بينا أن الرؤية عند أهل

(١) تيسير التفسير لمحمد اطفيش ج ٤ ص ٣٨٢ : ٣٨٥

(٢) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص ٦١

(٣) كتاب تفسير هيميان الزاد الي دار المعاد لمحمد اطفيش ج ٦ ق ١ ص ٢٠٢ : ٢٠٥

السنة منزهة عن صفات النقص اللازمة للتكيف من الحد والتحيز وغير ذلك من صفات الأجسام ونجد أيضاً قول الطوسي ت ٤٦٠هـ ورده على أهل السنة في أن العدم المحض لا يفيد مدحاً فإن الآية جعلته مدركاً سبحانه للأبصار فيقول: (فإن قيل كيف يتمدح بنفي الرؤية ومع هذا يشاركه فيها ما ليس بممدوح من المعدومات والضمائر؟ قلنا: إنما كان ذلك مدحاً بشرط كونه مدركاً للأبصار وبذلك يميز من جميع الموجودات لأنه ليس في الموجودات ما يدرك ولا يدرك، فإن قيل: ولما إذا كان يدرك ولا يدرك يجب أن يكون ممدوحاً؟ قلنا: قد ثبت أن الآية مدحه بما دللنا عليه، ولا بد فيها من وجه مدحة فلا يخلو من أحد وجهين: أما أن يكون وجه المدحة أنه يستحيل رؤيته مع كونه رائياً أو ما قالوه من أنه يقدر على منع الأبصار من رؤيته بأن لا يفعل فيها الإدراك، و ما قالوه باطلاً لقيام الدلالة على أن الإدراك ليس بمعنى الإحاطة، فإذا بطل ذلك لم يبق إلا ما قلناه، وإلا خرجت الآية من كونها مدحة^(١)، إن قولهم لأن المولى يدرك الموجودات وليس فقط إنه لا يدرك فكان يتمدح بذلك فيرد على ذلك بأن المدح راجع إلى الذات لا إلى الفعل فعدم رؤيتهم لله تعالى لأن ذاته لا تقبل أن تُرى فلا دخل للقدرة فيها حتى يتمدح بذلك على العباد بخلاف إذا قلنا بأن عدم رؤية العباد لله تعالى وعدم إدراكهم له راجع إلى القدرة لا إلى الذات بأنه يستطيع سبحانه أن يجعل العباد أن يروه ويستطيع أن يُعجز العباد بأن لا يروه بأن لا يجعل في الأبصار القدرة على رؤيته فيكون الأمر متمدحاً فيه بعجز قدرة العباد أمام قدرة رب العباد وقوله إنه: (تم إبطال أنه بمعنى الإحاطة) فقد بينا أوجه بطلان قولهم على القول إنها ليست بمعنى الإحاطة بل بينا أنه إذا كانت بمعنى الإحاطة أوجبت مدحاً في نفي عن الله الحدود والنهايات عنه سبحانه كما بين ذلك الإمام النسفي -رحمه الله- وبيناه بالتفصيل وحتى لا يتبقى لهم حجة بعد ذلك سوف ننقل من أقوال العلماء الذين ينفون الرؤية فقد قالوا إن الإدراك هنا بمعنى الإحاطة فمن علماء الشيعة القمي^(٢) وهو من أقدم علماء الشيعة وقد اتفق مع أهل السنة في حمل الإدراك

(١) التبيان في تفسير القرآن (تفسير الطوسي) م ٤ ص ٢٢٤: ٢٢٥

(٢) هو: (علي بن إبراهيم القمي، من فقهاء الإمامية ومفسرهم في القرن الثالث الهجري ومن أصحاب الإمام الهادي (ع). كانت أسرته في الكوفة ثم انتقلت إلى قم، ووالده أقدم من قام بنشر أحاديث أهل البيت بها وهو من مشيخة الكليني، وعلي بن بابويه، والد الشيخ الصدوق أصحاب التصانيف الحديثية لأوائل المدونة بعد الأصول. نقل معظم رواياته عن والده إبراهيم بن هاشم القمي وحفلت المصادر الحديثية المعروفة كالكافي برواياته الهامة التي بلغت أكثر من سبعة آلاف رواية. له تصانيف عديدة أهمها التفسير الروابي الشهير والمعروف بالتفسير القمي. عاصر آخر أئمة الشيعة الثلاثة وثقفي بقم وقبره بها يُزار. ولم يقدم لنا التاريخ معلومات دقيقة عن تاريخ مولده ووفاته ولكن يمكن الجزم بحياته في منتصف القرن الثالث وبدايات القرن الرابع.) «موقع ويكي شيعية موسوعة إلكترونية تابعة لإدارة المجمع العالمي لأهل البيت في إيران»

الموجود في الآية على الإحاطة وإذا تم حمل الإدراك المنفي على الإحاطة انعدمت حجة النافين في الاستدلال في كونها دليل على نفي مجرد الرؤية لأنه لا يوجد أحد من المثبتين أبداً يقول أن الله يُدرك بمعنى يُحاط به سواء كانت الإحاطة بالعين أو العلم أو القلب فالإحاطة منفية عن الله بأي وجه من الوجوه. فنجد القمي ت ٣٢٩هـ في تفسيره يقول : ("وقوله (﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾) أي لا تحط

به ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ أي يحيط بها وخلق كل شيء ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ وقوله: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ (١) قد جاء كم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها" يعني على النفس وذلك لاكتسابها المعاصي وهو رد على المجررة الذين يزعمون أنه ليس لهم فعل ولا اكتساب) (٢)

ونجد في تفسير كنز الدقائق للمشهدي ت ١١٢٥هـ يقول : ("لا تُدْرِكُهُ" : لا تحيط به.

"الْأَبْصَارُ" : جمع، بصر. وهي حاسة النظر. وقد يقال للعين، من حيث أنها محلها.

﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ : يحيط بها علمه . ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ : فيدرك ما لا تدركه الأبصار، كالأبصار. ويجوز أن يكون من باب اللف، أي: لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف، وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير. فيكون «اللطيف» مستعاراً من مقابل «الكثيف» لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها.

وفي كتاب التوحيد ، بإسناده إلى صفوان بن يحيى قال: سألتني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا - عليه السلام - فاستأذنته في ذلك، فأذن لي، فدخل عليه. فسأله عن الحلال والحرام والأحكام، حتى بلغ سؤاله التوحيد.

فقال أبو قرّة: إنا روينا، أنّ الله - عز وجل - قسم الرؤية والكلام بين نبيين.

فقسم لموسى - عليه السلام - الكلام، ولمحمد - صلى الله عليه وآله - الرؤية

فقال أبو الحسن - عليه السلام - : فمن المبلغ عن الله - عز وجل - إلى الثقلين، الإنس

والجن ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ و ﴿ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ (٣)

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (٤) أليس محمد - صلى الله عليه وآله - ؟

قال: بلى. فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً، فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله ويقول: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ " و ﴿

(١) الأنعام : ١٠٤

(٢) تفسير القمي ج ١ ص ٣١٣

(٣) طه : ١١٠

(٤) الشوري : ١١

لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١﴾ وَلَا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿٢﴾ " ثم يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت به علما، وهو على صورة البشر.

أما تستحيون ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر؟

والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة^(١)(٢)، فبحمل الرؤية المنفية على الإحاطة يكون قد شهد بعض النفاة بما قلناه بأن الرؤية المنفية المقصودة في الآية هي رؤية إحاطة بالله تعالى وهي منفية عن الله بالإجماع ويكون قد رد النفاة بعضهم على بعض في عدم جواز حمل الإدراك في الآية على الإحاطة والشمول، كما زعم القاضي عبد الجبار وغيره بحمل الإدراك على الإحاطة فنقول لا يبقى في الآية وجه استشهاد ينفي الرؤية غير الازمة للإحاطة والشمول سواء كانت الإحاطة بالبصر أو بالقلب أو بالعلم فكل ذلك منفي عن الله بالإجماع فتكون الآية غير قطعية الدلالة على نفي الرؤية التي لا تلزم الإحاطة والشمول بل قد تكون الآية دليلا على إثبات الرؤية كما بينا من كلام العلماء أمثال كلام الإمام النسفي - رحمه الله - تعالى.

ويتضح بعد المناقشة في الآية الكريمة والتي هي العمدة في الاستدلال عند النفاة بأن رؤيته سبحانه غير مستحيلة، وإن الآية لا يمكن أن تكون قطعية الدلالة على نفي رؤية الله تعالى فزعمهم أن الآية قطعية الدلالة على نفي الرؤية غير صحيح، بل وجدنا علماء أهل السنة والجماعة منهم من جعل الآية دليلاً على ثبوت رؤية الله تعالى كما ذكر الإمام الرازي والنسفي كما بينا ذلك بالتفصيل وأن من العلماء الذين قالوا بنفي الرؤية منهم قالوا إن الإدراك في الآية بمعنى الإحاطة فيكون المنفي في الآية الرؤية التي على وجه الإحاطة وهي منفية عن الله بالإجماع بينا وبينهم فيسقط الاستدلال بالآية بجعلها قطعية الدلالة على نفي رؤية الله تعالى.

(١) كتاب كنز الدقائق وبحر الغرائب ج ٤ ص ٣٩٢: ٣٩٣

(٢) التعريف بالمؤلف: هو محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي المشهدي ت ١١٢٥ هـ وهو من تلاميذ المجلسي وقد ذكر تعريف له في كتاب (تلامذة العلامة المجلسي) للسيد أحمد الحسيني فيقول: (محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي المشهدي السنا بادي عالم فاضل مفسر محدث جامع له إجازة الحديث من العلامة المجلسي كتبها له في سنة ١١٠٧، وتقريظ علي الكنز بتاريخ يوم الغدير ١١٠٢، قال المجلسي في تقريظه > لله در الأولي الفاضل الكامل المحقق المدقق البديل النحرير كشاف دقائق المعاني بفكره الثاقب ونقاد جواهر الحقائق برأيه الصائب... فلقد أحسن وأتقن أفاد وأجاد وفسر الآيات البيّنات بالاثار المروية عن الائمة السادات..< له > كنز الدقائق < وشرح الصحيفة السجادية > ص ٧١ تلامذة العلامة المجلسي والمجازون عنه

وهنا نكون انتهينا من عرض أهم الأقوال ومناقشة أدلتهم بالحجة والبرهان بفضل الله تعالى وتوفيقه .

نتائج البحث

بعد البحث والدراسة يتضح الآتي :

- (١) إن الأدلة التي استدل بها النافون للرؤية على استحالة رؤية الله تعالى العقلية منها والنقلية ليست قطعية على نفي الرؤية .
- (٢) إن الأدلة النقلية التي استدل بها القائلون بثبوت الرؤية من كتاب الله تعالى أظهر فيها القول بثبوت الرؤية بجانب الأحاديث المتواترة عن صحابة رسول الله والإجماع يجعل أدلة الرؤية قطعية يجب الإيمان بها .
- (٣) نجد القول بثبوت الرؤية جاء بالتواتر عن النبي والصحابة الكرام والسلف الصالح مما يجعل القول بثبوت الرؤية يفيد العلم ولا يحل رده .
- (٤) نجد القول بثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة قد تم الإجماع عليه في عصر الصحابة والسلف الصالح وأن القول بعدم ثبوت الإجماع غير صحيح .
- (٥) الرؤية التي يقول بها أهل السنة ليست بالشروط التجسيمية التي وضعها النافون للرؤية إنما تكون الرؤية دون هذه الشروط بلا كيف .
- (٦) يتضح من البحث أن الفرق الإسلامية التي قالت بنفي الرؤية في الآخرة لم تنكر النصوص القطعية كما فعلت الجهمية لذلك لا يحكم عليهم بالكفر كما حكم السلف الصالح على الجهمية التي أنكرت النصوص القطعية والتي منها كتاب الله تعالى .
- (٧) من أنكر النصوص القطعية، للرؤية التي استدل بها أهل السنة كالقرآن الكريم فقد كفر والفرق الإسلامية لا تنكر النصوص القطعية ولكنها بنفي الرؤية في المطلق بهذا القول تنسب للبدعة فيقال المبتدعة كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله .

توصيات البحث

موضوع رؤية الله تعالى من الموضوعات الهامة التي كثر الجدل حولها منذ عهد السلف الصالح إلى الآن بين من يقول بجواز رؤية الله تعالى وبين من يقول بأنها مستحيلة ولا بد عند البحث في هذا الموضوع يجب أن يراعي الباحث الفرق بين النصوص القطعية والنصوص الظنية وأن يفرق بينها حتى يكون البحث مبنياً على قاعدة صحيحة بجانب ذلك نوصي أن يتم عمل بحث علمي شامل خاص بالروايات التي تتحدث عن رؤية الله تعالى من جهة المتن والإسناد خاصة بعد ظهور من يشكك في هذه الروايات الواردة في كتب السنة والتي منها ما اجمع عليه البخاري ومسلم وذلك عن طريق الطعن في السند لهذه الروايات لذلك إذا تم عمل بحث خاص بهذا الموضوع يتم سد أي ذريعة يمكن الطعن من خلالها في تواتر رؤية الله تعالى من السنة النبوية الشريفة

قائمة المصادر والمراجع

" القرآن الكريم "

- ١- الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، المحقق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧
- ٢- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- ٣- المناظر، الحسن بن الهيثم، السلسلة التراثية بالكويت لعام ١٩٨٣/٥١٤٠٤ م.
- ٤- اغتنام الفوائد في شرح قواعد العقائد للإمام الغزالي، الإمام أبي العباس أحمد زروق الفاسي، دار الضياء بدولة، الكويت ودار الإمام ابن عرفة بتونس.
- ٥- التبيان في تفسير القرآن=تفسير الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير، دار أحياء التراث العربي.
- ٦- الحق الدامغ، أحمد بن حمد الخليلي، مطابع النهضة، عام: ١٤٠٩ هـ.
- ٧- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبي الحسن عبد الجبار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ٨- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر مايو ٢٠٠٢ م
- ٩- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية.

- ١٠- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.
- ١١- تفسير القمي، القمي، السيد محمد باقر الموحّد الابطحي الاصفهاني، مؤسسة الإمام المهدي، الطبعة: الأولى، عام: ١٤٣٥هـ.
- ١٢- تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، المشهدي، المحقق: حسين دركاهي، مؤسسة شمس الضحى، الطبعة: الأولى.
- ١٣- تيسير التفسير، محمد أطفيش، التحقيق: الشيخ إبراهيم ابن محمد طلاوي، الطبعة: الثانية، وزارة التراث والثقافة عمان.
- ١٤- تلامذة العلامة المجلسي والمجازون عنه، السيد أحمد الحسيني، مكتبة اية الله المرعشي العامة، الطبعة الأولى عام ١٤١٠
- ١٥- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، النسفي، التحقيق: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- ١٦- خلاصة علم الكلام، الدكتور عبد الهادي الفضلي، دار المؤرخ العربي ببيروت، الطبعة: الثانية عام: ١٤١٤هـ-١٩٩٣ م.
- ١٧- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، المحقق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ١٨- سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
- ١٩- شرح المواقف للجرجاني مع حاشيتي السيلكوتي والفتاري، الشريف الحسيني الجرجاني، الطبعة: الأولى على نفقة الحاج محمد أفندي، الناشر: مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
- ٢٠- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
- ٢١- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ٢٢- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٢٣- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي خطيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠ هـ.

٢٤- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

٢٥- هيمان الزاد إلى دار المعاد، محمد بن يوسف الوهبي، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.

٢٦- موقع ويكي شيعية موسوعة إلكترونية تابعة لإدارة المجمع العالمي لأهل البيت ويكي شيعية (wikishia.net).

٢٧- "الموقع الإلكتروني شبكة الجزيرة الإعلامية > ديانات وعقائد شخصية عمان< بتاريخ ٢٧/٤/٢٠١٥)

<https://www.ajnet.me/encyclopedia/2015/4/27>

